

ملخص الإطروحة

يدرس البحث الحالي ثلاثة متغيرات سيكولوجية مهمة شحّت دراستها على حد علم الباحث في البيئة العربية والاسلامية، هي (فقدان المعنى، التوجه الديني، نمط الاستجابات المتطرفة)، كما ويدرس العلاقة بين فقدان المعنى من جانب والتوجه الديني ونمط الاستجابات المتطرفة من جانب اخر لكونهما منبئان لفقدان المعنى.

يعد فقدان المعنى أحد اهم المخاوف الوجودية الكبرى التي تهدد انسان هذا العصر، حتى انه عدّ مرضا جماهيريا، ويعرف بأنه حالة تحدث عندما تعاق أو تحبط إرادة المعنى لدى الانسان، فتصبح حياته بلا معنى واضح، فلا يشعر بالحماس لإنجاز عمل ما، ولا تبدوله رسالة واضحة يجب عليه تأديتها، وإنما ينتقل من يوم إلى آخر في نظام روتيني ممل، ووفقا لعلماء النفس الوجوديين يحدث فقدان المعنى عندما يعاق دافع (إرادة المعنى) الدافع الاساسي والجوهري عند الانسان، ويحدث ذلك بسببين الاول عندما تزداد الضغوط والازمات في حياة الانسان بشكل تجعله عاجزا امامها عن فعل اي شيء، والسبب الثاني عندما تصبح البيئة المحيطة بالانسان رتيبة بشكل تجعلها عاجزة عن اثاره هذا الدافع الاساسي.

وتشير نتائج الدراسات بان مشاعر فقدان المعنى او ما يطلق عليه احيانا بالفراغ الوجودي من شأنها ان تولد لدى الانسان انعكاسات خطيرة وسلبية على شخصيته وصحته النفسية والجسمية، فقد تؤدي به الى حالة من الإكتئاب الشديد، أو إلى رغبة عارمة في إيذاء النفس أو الآخرين، أو الى تعاطي الكحول والمخدرات والادمان عليها، أو إلى الأداء السلبي في العمل وفقدان الدافعية له، وفي بعض الحالات تقود به إلى الانتحار. ولغرض تلافي هذه المخاطر ينصح علماء الصحة النفسية فاقدي المعنى الى البحث عن مصادر للمعنى جديدة وحيوية تفعم حياتهم بالمعنى، وعلى الرغم من تعدد هذه المصادر، يعد التوجه الديني (وهو المصطلح الذي يستخدمه علماء النفس للإشارة به الى الطريقة التي يعيش بها الانسان حياته وفقا لمعتقداته وقيمه) احد اهم الطرائق او الاساليب التي يتبعها الانسان لتحقيق المعنى في حياته او للتخلص من مشاعر فقدان المعنى لاسيما أوقات الشدة والازمات، حتى انه عدّ المنبئ الاعظم للمعنى في الحياة وفقدانه، ويميز علماء النفس بين شكلين من التوجه الديني هما التوجه الديني الجوهري والتوجه الديني الظاهري، ويعدون التوجه الجوهري الاكثر تنبؤ بالمعنى، إذ يشير التوجه الديني الجوهري الى الطريقة التي يستخدمها —و يعيش بها—

الانسان حياته متخذاً الدين أطاراً تفهم منه الحياة كلها، ويشير التوجه الديني الظاهري الى الطريقة التي يستخدمها - ويعيش بها- الانسان حياته متخذاً الدين واسطة لتحقيق المنافع الشخصية والدينية، ومن هنا جاءت اهمية دراسة العلاقة بين فقدان المعنى والتوجه الديني.

أما بالنسبة لنمط الاستجابات المتطرفة فهي نوع من الاستجابات عادة ما تظهر في مواقف التوتر وتتسم بالانحراف عمّا هو شائع، ولقد نظر علماء النفس اليها على انها جانب مهم من جوانب الشخصية الانسانية، وعدوها منبئاً مهماً للصحة النفسية، ومتغيراً مهماً للتمييز بين اشكال السلوك المختلفة، كونها ميزت وبفاعلية بين (الاسوياء، وغير الاسوياء) (الناضجين، وغير الناضجين) (المتوترين نفسياً، وغير المتوترين نفسياً)، وعلى الرغم من تعدد الدراسات التي بحثت في علاقتها بالصحة النفسية، الا انه على حد علم الباحث لا توجد دراسة بحثت في علاقتها بالمعنى في الحياة ولا بفقدانه، علماً بان الاخيرين متغيران مهمان في الصحة النفسية، ويحملان في طياتها الكثير من التوتر، ويمكن للاستجابات المتطرفة ان تميز بينهما وبفاعلية ايضاً.

ان دراسة هذه المتغيرات الثلاثة، ودراسة العلاقة بينها، على افراد المجتمع العراقي بصورة عامة، والمجتمع الطلابي بصورة خاصة في ظل ظروف انعدام الامن وتنامي الارهاب، يعطي اهمية كبيرة لهذه الدراسة، فمن المعروف ان مثل هذه الظروف من شأنها ان تؤثر بشكل مباشر على سلوك الانسان العراقي وعلى صحته النفسية والجسمية، وتشير الدلائل العلمية ان كلاً من المعنى في الحياة وفقدانه والتوجهات الدينية بشكلها الجوهري والظاهري والاستجابات المتطرفة بانماطها جميعها تتأثر وبشدة سواء بالسلب او بالايجاب في مثل هذه الظروف المأساوية، فمن الممكن لهذه الظروف ان تؤدي بالانسان العراقي الى خبرة فقدان المعنى، ومن الممكن لها ان تقوده الى المعنى الاعمق في حياته، كما ومن الممكن لها ان تزيد من التوجه الديني الجوهري او الظاهري، ومن الممكن لها ايضاً ان تظهر انواعاً مختلفة من الاستجابات المتطرفة، وفي الحالات جميعها يكون الامر مرهوناً بقرارات الانسان العراقي وخياراته.

لقد هدف هذا البحث بشكل عام إلى قياس متغيرات (فقدان المعنى، التوجه الديني، الاستجابات المتطرفة) والى تعرف طبيعة العلاقة بينها، لدى فئة من المجتمع العراقي متمثلة بطلبة جامعة بغداد،

ولتحقيق اهداف البحث عرّب الباحث وكيف مقياس المعنى في الحياة لكرومبو وماهولك (١٩٦٤) على البيئة العراقية لاستخدامه في الكشف عن مستوى فقدان المعنى، وصمم مقياس التوجه الديني (الجوهري، الظاهري) لاستخدامه في الكشف عن التوجه الديني، وطوّر وكيف مقياس الصداقة الشخصية لسويف

(١٩٥١) لاستخدامه في الكشف عن انماط الاستجابات المتطرفة (التطرف العام، التطرف الايجابي، التطرف السلبي)، وبعد استخراج صدق وثبات هذه المقاييس الثلاثة والتي كانت جميعها صادقة وثابته، تم تطبيقها على عينة ممثلة لمجتمع البحث بلغ مقدارها (٦٠٠) طالبا وطالبة، وبينت النتائج بشكل عام بان هناك علاقة جوهرية ذات دلالة احصائية بين متغيرات البحث الثلاثة، وان كل من التوجه الديني الجوهري ونمط الاستجابات المتطرفة (العامة، السلبية) قد أسهمت وبقوة في التنبؤ بالمعنى في الحياة وفقدانه، وان طلبة جامعة بغداد لديهم مستويات منخفضة من فقدان المعنى، والتوجه الديني الظاهري، ونمط الاستجابات المتطرفة السلبية، ولديهم مستويات مرتفعة من المعنى في الحياة، والتوجه الديني الجوهري، ونمط الاستجابات المتطرفة العامة والايجابية، كما وبينت النتائج وجود فروق جوهرية في هذه المتغيرات الثلاثة تبعا لمتغيرات الجنس والتخصص (علمي، انساني).

وفي ضوء هذه النتائج خرج الباحث بمجموعة استنتاجات منها ان المعنى في الحياة شيء مهم في حياة الانسان وان فقدانه شيء خطير على صحته النفسية والجسمية، وان الدين احد اهم مصادر المعنى في الحياة، وان الاستجابات المتطرفة لاتدل بالضرورة على سلوك سوي أو مضطرب، كما وخرج الباحث بمجموعة توصيات منها ضرورة التركيز على العلاج بالمعنى بوصفه اسلوباً حديثاً في العلاج النفسي له اثر فعال في ظل الحروب والكوارث والازمات، والقيام بدورات ارشادية وعلاجية نفسية في مؤسسات التربية والتعليم ومؤسسات المجتمع المدني، تؤكد اهمية المعنى في الحياة ومخاطر فقدانه. وتساعد افراد المجتمع العراقي على اكتشاف جوانب ومصادر حيوية للمعنى في الحياة في ظل معاناتهم، لاسيما ضحايا الارهاب امثال الثكالي والارامل والايتام والمهجرين ..الخ، واخير وضع الباحث مجموعة مقترحات لدراسات مستقبلية مثل، اجراء دراسة عن فقدان المعنى لدى الثكالي والايتام والارامل والمهجرين وضحايا الارهاب، اجراء دراسة مقارنة في التوجه الديني بين (الديانات، المذاهب، القوميات، الاجناس، المستويات الثقافية، ...)، واجراء دراسة تفسر الاستجابات المتطرفة العامة والايجابية والسلبية في ضوء النظرية الانسانية الوجودية.